

أضواء البيان

@ 269 . أمر الله جلَّ وعلا نبيَّه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة أن يقول للكفار : إنهم وإيَّاهم ليس أحد منهم مسؤولاً عما يعملونه الآخر ، بل كل منهم مؤاخذ بعمله ، والآخر بريء منه . .

وأوضح هذا المعنى في غير هذا الموضع ؛ كقوله تعالى : { وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِيْ عَمَلِيْ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلْتُ وَأَنَا زَالٍ بِرَرِّهِ مِمَّا تَعْمَلُونَ } ، وقوله تعالى : { قُلْ يَا أَهْلَ الْيَهُدَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } ، إلى قوله : { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } ، وفي معنى ذلك في الجملة قوله تعالى : { تِلْكَ أُمُوتَةٌ قَدْ خَلَّتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ؛ وكقوله تعالى عن نبيِّه هود عليه وعلى نبيِّنا الصَّلَاة والسلام : { قَالَ إِنْ زَيْدُ الشَّهِدُ اللَّيْهَ وَ الشَّهِدُوا أَنْ زَيْدٌ بَرٌّ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُ زَيْدٍ جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ } . { قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } . أمر الله جلَّ وعلا نبيَّه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة أن يقول لعبدة الأوثان : أروني أوثانكم التي ألحقتموها بالله شركاء له في عبادته كفرًا منكم ، وشركاء وافتراء ، وقوله : { أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ } ، لأنهم إن أروه إيَّاهها تبين برؤيتها أنها جماد لا ينفع ولا يضر ، واتضح بعدها عن صفات الألوهية ، فظهر لكل عاقل برؤيتها بطلان عبادة ما لا ينفع ولا يضر ، وإحضارها والكلام فيها ، وهي مشاهدة أبلغ من الكلام فيها غائبة ، مع أنه صلى الله عليه وسلم يعرفها ، وكما أنه في هذه الآية الكريمة أمرهم أن يروه إيَّاهها ليتبين بذلك بطلان عبادتها ، فقد أمرهم في آية أخرى أن يسموها بأسمائها ؛ لأن تسميتها بأسمائها يظهر بها بعدها عن صفات الألوهية ، وبطلان عبادتها لأنها أسماء إناث حقيرة كالات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ؛ كما قال تعالى : { إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا لَئِنْ أَرْسَلْنَا بِهِ سَحَابًا مَّا يُمْطَرُ إِلَّا بِهِ وَلَا يَنْصَرِفُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ فَهُمْ أَنْ يَرْبُحُوا الْبِتْلَاسَ أَوْ يَخْسِرُوا الْبِتْلَاسَ } . .

والأظهر في قوله : { أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ } في هذه الآية : هو ما

ذكرنا من أن الرؤية بصرية ، وعليه فقله : { شُرَكَاء } حال ، وقال بعض أهل العلم :
إنها من رأى